

الحمد لله الذي جمعنا

لله

من كثر التابعين

سودة بنت عمارة

[www.dawafmemo.com](http://www.dawafmemo.com)

دار البكر

دمشق - بيروت

( ١٢ )

## سودة بنت عمارة

♦ تابعية ، فصيحة ، شاعرة ، من أنصار علي بن أبي طالب ، وفدت على معاوية في شكوى لها ولقومها فأنصغها .

## سَوْدَةُ بِنْتُ عِمَارَةَ

### الخطبةُ الشاعرةُ :

\* جمعت سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية<sup>(١)</sup> جمال الشعر وبيانه ، إلى جانب الفصاحة والخطابة والبلاغة ، واشتهرت - في عصر التابعين - بشيات الجنان ، والشجاعة في ميدان القتال ، ومنازلة الفرسان .

\* وكانت في خطابتها تنبئ عن حضور البديهة ، وقوة العارضة ؛ أما شعرها فكان يفور فوران المرحل ، ويحفل بكل عاطفة وقادة تحمل كل الحب لبني هاشم ؛ أولئك الذين هم مهبط الوحي ، وشعبة الهدى ، وأمة البيان ، وهم الذين وصفهم مسلم بن بلال العبدي بقوله : أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النبوة ينطقون<sup>(٢)</sup> .

\* وكانت سودة بنت عمارة من نساء عصر التابعين ، ممن كن ينظرن إلى سيدنا علي - رضي الله عنه - نظرة إكبار وإجلال ، فقد كانت من أنصاره قولاً وعملاً ، ومن جنوده البواسل في « صفين » مع أخيها الذي كان من الأبطال الأشداء في ذلك اليوم ، وكان لأخيها مقام

---

(١) أعلام النساء ( ٢٧٠/٢ ) ، وشاعرات العرب ( ص ١٧٣ ) وفيها ابنة الأشتر بدلاً من الأسك .

(٢) زهر الآداب للحصري القيرواني ( ٦٣/١ ) .

لا ينسى إذ عُرف بالشجاعة والإقدام ، كما عُرف بالفصاحة والبيان أيضاً .

\* ولعلُّ سودة بنتَ عمارة - رحمها الله - قد أخذت عن بني هاشم نصاعة بيانهم ، ومضاء حججهم ، وسمو أدبهم ، فقد جمعوا مع كرم الأرومة والأصل إمرة البيان ، وزمام العلم ، وقد ورثه الأبناء عن الآباء .

شرف تنقل كابرأ عن كابر  
كالريح أنبوباً على أنبوب

\* \* \*

بين يدي معاوية :

\* ترسم أخبار هذه الثابعية صورة صادقة عن دور المرأة في عصر التابعين ، كما تعطي ملامح واضحة للحياة الاجتماعية والسياسة عصر ذلك .

\* وفي أخبار سودة نجد جرأتها في الدفاع عن حقها ، ومشاركتها في التعبير عن رأيها وتصريف شؤونها ، كما نجد علو هممتها ومضاء عزيمتها ، إذ أنها تجشمت عناء السفر ، وأتت من بلادها البعيدة - اليمن - إلى مقر الخلافة ، فقدمت على معاوية ودخلت عليه بدمشق في شأن من شؤونها الخاصة وشؤون قومها جميعهم ؛ فقد قابلت معاوية - رضي الله عنه - منطلمة من واليه على اليمن ، وأسمعتته من بليغ قولها ونصاعة الشعر ما جعله يرفع عنها الجور الذي لحقها ، ولما ذكرها سيدنا علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - لم نجد لها مضطرةً إلى كلمة نفاق واحدة ، أو

تلجج لسانها ، بل أظهرت رأيها ومكنون نفسها بكل جرأة وصراحة  
تدلان على نظرتها السليمة لما تقول ، وبعد هذا أكرمها وأعادها بكتاب  
عزل فيه واليه عن اليمين .

\* ولنبداً القصة من أولها ، فقد حدث الإمام الشعبي – رحمه الله –

فقال :

استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية بن أبي  
سفيان – رضي الله عنهما – ، فأذن لها ، فسلمت فرد عليها السلام ، ثم  
قال لها : هيه ، يا بنت الأسك ، كيف أنتي ؟

قالت : بخير – والحمد لله – يا أمير المؤمنين .

فقال لها : ألسن القائلة لأخيك يوم صيفين (١) :

شمر كفعل أيبك يا بن عمارة

يوم الطعان وملتقى الأقران

وانضُر علياً والحسين ورهطه

واقصد لهند واينها بهوان

---

(١) الشعبي : عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري ، أبو عمرو ، راوية  
من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ، ولد بالكوفة سنة ( ١٩ هـ ) وكان نديماً لعبد  
الملك بن مروان ، وهو من رجال الحديث الثقات ، استفضاه عمر بن عبد العزيز  
رحمه الله وكان فقيهاً شاعراً ، وأبحاره كثيرة جداً ، توفي بالكوفة سنة ( ١٠٣ ) وله  
( ٨٣ ) سنة رحمه الله تعالى ( الأعلام : ٢٥١/٣ ) .

(٢) صيفين : بكر الصاد والفاء المشددة . موضع معروف بقرب الفرات بين الرقة  
وبالس . ( تهذيب الأسماء واللغات : ١٨١/٣ ) .

إِنَّ الْإِمَامَ أَخِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
عَلَّمَ الْهَدَى ، وَمَنَارَةَ الْإِيمَانِ  
فَقَدِ الْجِيوشَ ، وَسِرَّ أَمَامِ لَوَائِهِ  
قُدُماً بِأَبْيَضٍ صَارِمٍ وَسِنَانِ

فأجابت دون ترددٍ أو وجلٍ : أنا القائلة هذا يا أمير المؤمنين ، وما  
مثلي مَنْ رَغِبَ عَنِ الْحَقِّ ، وَلَا أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ بِالْكَذِبِ .

قال : فما حملك على ذلك ؟

قالت : حُبُّ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، وَاتِّبَاعُ الْحَقِّ .

قال : وَاللَّهِ - يَا ابْنَةَ الْأَسْكَ - مَا أَرَى عَلَيْكَ مِنْ أَثَرِ عَلِيٍّ شَيْئاً .

فقالت سودة : أَنَشُدُّكَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِعَادَةَ مَا مَضَى ، وَتَذَكَارَ  
مَا قَدْ نُسِيَ .

فقال معاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ! مَا مِثْلَ مَقَامِ  
أَخِيكَ يُنْسَى ، وَلَا لَقِيْتُ مِنْ أَحَدٍ مَا لَقَيْتُ مِنْ قَوْمِكَ وَقَوْمِ أَخِيكَ .

قالت : صَدَقَ فَوْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ لَمْ يَكُنْ أَخِي ذَمِيمَ الْمَقَامِ ،  
وَلَا خَفِيَ الْمَكَانِ ، كَانَ وَاللَّهِ كَقَوْلِ الْخَنَسَاءِ :

وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْهَدَاةُ بِهِ  
كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارًا

ثم قالت : يَا اللَّهُ أَسْأَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِعْفَائِي مِمَّا اسْتَعْفَيْتَ مِنْهُ .

قال : قَدْ فَعَلْتَ ، وَحِبًّا وَكِرَامَةً .

## شكوى وتوجع :

\* بعد أن توقفتِ المَناوِرةُ بين معاوية - رضي الله عنه - ، وسودة - رحمها الله - ، وكان قد أعجب ببلاغتها وشجاعتها - توجه إليها وسألها فقال : ما حاجتك يا ابنة الأسك ؟ قولي ما تريدن .

عندئذ بدأت سودة تشكو عامله والحزن بإد علي وجهها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك أصبحت للناس سيِّداً ، ولأموارهم متقلِّداً ، والله عزَّ وجلَّ سائلُك عن أمرنا ، وعمَّا افترض عليك من حقنا ، ولا يزال يقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبطش بسطانك ، فيحصدنا حصاد السَّنبِل ، ويدوسنا دِباسَ البقر ، ويسومنا الخميسة ، ويسألنا الجلييلة ، هذا بُسر بن أرطاة ، قدم بلادي فقتل رجالي ، وأخذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ، فأما عزله عنا فشكرناك وإما لا فعرفناك .

فقال معاوية : يا هذه ، أتهديني بقومك ؟! والله لقد هممتُ أن أردك إلى يُسر على قَبِّ أشرس<sup>(١)</sup> ، وأحملك إليه فينقذ فيك حُكمه .

عندئذٍ أطرقت سودة ، وهجمت الدموع من عينيها ، وتدهجرت على وجهها ، ثم رفعت رأسها ، وأنشأت تقول :

صَلَّى إِلَهُ عَلَى رُوحِ تَضَمَّتْهَا  
قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا  
قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْغِي بِهِ بَدْلًا  
فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

(١) القَب : إكاف البعير ؛ و الأَشْرَس : الحشن الغليظ - يعني يحملها على بعير

هذه صفته - .

فقال لها معاوية : ومن ذلك ؟

قالت : عليّ بن أبي طالب - رحمه الله ورضي عنه - .

قال : ما أرى عليك منه أثراً ، فما صنع بك حتى صار عندك كذلك ؟

قالت : أتيتُه يوماً في رجل قد ولّاهُ عليّ صدقاتنا ، لم يكن بيننا وبينه إلا كما بين الغنّ والسُّمين ، فوجدته قائماً يصلي ، فلما نظر إليّ انفتل من مصلاده ، ثم قال لي برأفةٍ وتعطف : ألك حاجة ؟

فأخبرته خسر الرجل ؛ فبكي - رضي الله عنه - ثم رفع يديه إلى السَّماء فقال :

اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم ، إنني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حقك .

ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيها :  
بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل ﴿١﴾ والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين \* بقیةُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴿٢﴾ [ هود : ٨٤ و ٨٥ ] إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يأتي من يقبضه منك والسلام .

فأخذته منه ، والله ما ختمه بطين ، ولا نخرمه بخزام ، فعزلته به .

\* \* \*

## مُعَاوِيَةُ يُنصِفُ سَوْدَةَ :

\* بعد أن سمع معاوية رضي الله عنه - ، التفت إلى كتابه وقال لهم : اكتبوا لها بإنصافها ، وردّ ما لها ، والعدل عليها .

فقالت سودة : يا أمير المؤمنين ، ألي هذا خاصة ، أم لقومي عامة ؟

قال : ما أنتِ وغيرُكِ ؟

قالت : هي والله إذا الفحشاء واللّوم ، إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وإلا فأنا والله كسائر قومي يسعني ما يسعهم !

فقال معاوية متعجباً : هيهات هيهات ! لقد لمظكم - ذوقكم وعودكم - ابن أبي طالب - رضي الله عنه - المرأة على السلطان ، فبطيئاً ما تقطمون غيره ، وغرّم قوله :

فلو كنتُ بواباً على باب جنّة

لقلتُ لهمّدان ادخلوا بسلام

اكتبوا لها بحاجتها وحاجات قومها .

ثم رُدّها إلى اليمن معززةً مكرمةً تلهج بالثناء عليه .

\* وبعد ، فهذه سودة بنت عمارة الهمدانية ، إحدى النساء التابعيات اللاتي وعاهن التاريخ ، وتركن أثراً خالداً في صفحات النساء المخالدات .

\* رحم الله سودة ، وجعل وجهها أبيض يوم تبيض وجهه وتسود  
وجهه ، إنه كريم رحيم .

\* \* \*